مجلة الدراسات الإيرانية

دراسات وأبحاث علمية متخصصة

مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر باللغتين العربية والإنجليزية

السنة الثامنة – العدد العشرون – أكتوبر 2024م

تصدر عن

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

العلاقات الروسية بجماعة الحوثي في إطار الصراع الجيوسياسي مع الغرب

د. يوســـف مرعـــي

باحث دكتوراه في العلاقات الدولية والسياسة الدولية
بجامعة بطرسبورغ الحكومية في روسيا

مستخلص:

في مطلع العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، بدا أن روسيا تخلت عن الدعم التقليدي الذي كان يقدمه الاتحاد السوفيتي لأصدقائها الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين واليمنيين؛ ففي عهد يلتسين وبوتين -إلى حد ما- كان المسار الروسي في الشرق الأوسط مؤيدًا لإسرائيل، أما الآن فيظهر أن روسيا تدعم مرة أخرى أعداء إسرائيل، وكانت نقطة التحول في عام 7002م، في مؤتمر ميونيخ للأمن، عندما أعلن بوتين بوضوح ولأول مرة أن روسيا ليست مستعدة للاكتفاء بدور دولة هامشية، أو حتى قوة عظمى إقليمية، ولا شك أن السابع من أكتوبر 3202م، وما تبعه من تداعيات إقليمية فتح الباب أمام كثير من الأسئلة عن طبيعة الدور الروسي في المنطقة، وكيف عملت موسكو على توظيف هذه الأحداث لصالحها؟ فبالنسبة لبوتين كانت هذه فرصة سانحة ليقول مرة أخرى إن الإستراتيجية الأمريكية طويلة المدى في المنطقة كانت فاشلة، كما أثارت هذه التطورات الجدل حول مزايا الطرق اللوجستية البديلة لموسكو، والمحافظة على أسعار نفط مرتفعة، فضلاً عن التلويح باستخدام هذه الجبهة لإلحاق الضرر بأعدائه الغربيين، الذين تخطوا معظم الخطوط الحمراء لموسكو في الجبهة الأوكرانية. وتحاول هذه الدراسة أن تستكشف طبيعة العلاقة بين جماعة الحوثي وموسكو، وكيف يمكن للكرملين الاستفادة مما يحدث في البحر الأحمر، وتوظيفه في سياق معركته الجيوسياسية مع الغرب على الجبهة الأوكرانية.

الكلمات المفتاحية: روسيا، الحوثيون، اليمن، الولايات المتحدة، البحر الأحمر، باب المندب.

Abstract

In the early years of the 21st century, it appeared that Russia had abandoned the traditional support once offered by the Soviet Union to its Palestinian, Lebanese, Syrian, and Yemeni allies. During the terms of Yeltsin and, to some extent, Putin, Russia's path in the Middle East seemed to favor Israel. However, it now appears that Russia is again supporting Israel's foes. A turning point occurred in 2007 at the Munich Security Conference when Putin explicitly declared for the first time that Russia was not prepared to content itself with a marginal role or even regional superpower status. Undoubtedly, the events of October 2023 ,7, and the subsequent regional ramifications have opened the door to many questions about the nature of Russia's role in the region and how Moscow has worked to leverage these events to its advantage. For Putin, this was a timely opportunity to assert once more that the long-term US strategy in the region had failed. These developments have also sparked debate about the viability of alternative logistical routes for Moscow, the maintenance of high oil prices, and the potential to use this front to harm its Western adversaries, who have crossed many of Moscow's red lines on the Ukrainian front. This article seeks to explore the nature of the relationship between the Houthis and Moscow and how the Kremlin might capitalize on the situation in the Red Sea within the context of its geopolitical battle with the West on the Ukrainian front.

Keywords: Russia, Houthis, Yemen, United States, Red Sea, Bab al-Mandab.

مقدمة

خلقت التطورات الجارية في الشرق الأوسط منذ اندلاع عملية طوفان الأقصى ساحة جديدة للتنافس بين القوى الكبرى، ولاسيما أن الصراع قد اتسع إقليميًا، وامتد إلى نطاقات جيواستراتيجية شديدة الحساسية، كمنطقة البحر الأحمر عقب دخول الحوثيين على خط الصراع، الأمر الذي جذب تدخل القوى الدولية المتنافسة، التي تسعى لتعزيز نفوذها الإقليمي، وربما تكون روسيا إحدى هذه القوى التي وجدت في الصراع فرصة من أجل إلحاق الضرر والتأثير على الولايات المتحدة والغرب المنخرطين ضد روسيا في حربها على أوكرانيا، وهذا السلوك الروسي ربما يتسق مع سياسة موسكو في محاولة موازنة الضغوط ضد الولايات المتحدة والغرب، للتأثير على مجريات المواجهة الراهنة، وهذا ما أشار إليه نائب رئيس مجلس الأمن القومي الروسي، والرئيس السابق دميتري ميدفيديف، عبر قناته على تيليغرام، بدعوته إلى الانتقام من الغرب "في كل مكان ممكن" بسبب الصراع المتزايد في أوكرانيا والعقوبات اللاإنسانية ضد روسيا وشعبها، وأشار ميدفيديف، الذي وصف الغربيين بـ"الأعداء"، إلى الحاجة إلى خلق "صعوبات اقتصادية لهم، وإثارة الاستياء الشعبي من السياسات غير الكفؤة التي تنتهجها السلطات الغربية، وتطوير الحلول الدولية وتعزيزها التي تتعدى على مصالح العالم الغربي. وأشار صديق بوتين القديم إلى أن هذا يجب أن يتم "بشكل مستمر ومنهجي وعلني قدر الإمكان"، ليس هذا فحسب، بل ينبغي على المرء "القيام بأنشطة أخرى على أراضي الغرب ليس من المعتاد الحديث عنها علنًا"[1].

وهذا التوجه الذي يبدو رسميًا مدفوع بمطالب تركز على ضرورة استغلال روسيا للصراع الناشئ في البحر الأحمر؛ للرد على التوجهات الغربية والأمريكية ضد روسيا في أوكرانيا، وكنوع من موازنة الضغوط والتأثير على مجريات الصراع، وذلك عبر مد الحوثيين بالسلاح اللازم لإلحاق الضرر بالولايات المتحدة، كما تفعل الولايات المتحدة مع أوكرانيا وتمدها بالسلاح الذي يهدد روسيا[2].

وبينما تُشير تقارير إخبارية أمريكية حول تقديم الروس دعمًا عسكريًا للحوثيين في حملتهم ضد الولايات المتحدة، فليس من المستبعد أن تعمق روسيا من انخراطها في هذا الصراع؛ لأن ذلك يمنحها تأثيرًا جيوسياسيًا ضد الولايات المتحدة في المنطقة، وقد ينعكس إيجابًا على مواجهتها الحالية في أوكرانيا، فضلًا عن أنه يعزز من توجهاتها الرامية إلى إضعاف الهيمنة الأمريكية، وإضعاف نفوذها الإقليمي. من هنا تثور أسئلة حول علاقة روسيا بالحوثيين، وتفصيلًا حول العوامل المؤثرة على علاقة روسيا بالحوثيين، والتطور في العلاقة بعد حرب غزة ودخول الحوثيون على خط الصراع، وكيفية توظيف روسيا لهذا الصراع في مواجهتها مع الولايات المتحدة والغرب، وتداعيات دخول روسيا على خط الصراع؟

أولا: عوامل مؤثرة على علاقة روسيا بالحوثيين

تؤثر جملة من الاعتبارات على علاقة روسيا بالحوثيين، أهمها:

1. تغيير طبيعة السياسة الخارجية الروسية

بالعودة إلى مفهومي السياسة الخارجية الروسية التي تبناها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في عامي 2016م، و2023م، سنجد أن روسيا ركزت في مقارباتها لقضايا الصراع على ضرورة أهمية تفعيل القانون الدولي، وحل هذه الصراعات عبر منصة الأمم المتحدة، وعبر تفعيل دور الدبلوماسية متعددة الأطراف، ودعم الأنظمة الشرعية. فوفقًا للبند (34) في المفهوم الأول: "تعمل روسيا على تعزيز آليات التسوية السياسية والدبلوماسية للصراعات الإقليمية على أساس العمل الجماعي للمجتمع الدولي، وعلى أساس أن حل هذه الصراعات ممكن من خلال إشراك جميع الأطراف في الحوار والمفاوضات، وليس عن طريق عزل أي من أطرافها"[3]، وقد جاء ذكر منطقة الشرق الأوسط تحديدًا في البند 92 من المفهوم ذاته، وأكد ضرورة " اتباع موسكو لمسار ثابت نحو الحل السياسي والدبلوماسي للصراعات في دول هذه المنطقة على أساس احترام سيادتها وسلامة أراضيها، والحق في تقرير مصيرها دون تدخل خارجي"[4].

وقد أكد مفهوم السياسة الخارجية الروسية لعام 2023م التوجهات ذاتها؛ إذ جاء في المادة السادسة ما يؤكد أن السياسة الخارجية لروسيا سلمية، ومنفتحة، ويمكن التنبؤ بها، ومتسقة، وواقعية، وتقوم على احترام مبادئ القانون الدولي وقواعده المقبولة عموما، والرغبة في التعاون الدولي المتساوي من أجل حل المشاكل وتعزيز المصالح المشتركة.

واستجابة للتطورات الجارية على الساحة الدولية، فقد أظهر المفهوم الجديد نزعة جديدة أكثر ميلا نحو التدخل والانخراط، حيث نصت المادة 11 في الفصل الثاني من المفهوم الجديد "أن تفاقم النزاعات المسلحة طويلة الأمد في عدد من المناطق، يزيد التهديد للأمن العالمي، ويزيد من مخاطر الاشتباك بين الدول الكبيرة، بما في ذلك القوى النووية، ويرفع من احتمالات مخاطر مثل هذه الصراعات وتصعيدها إلى مستوى الحروب الإقليمية أو العالمية، لهذا ركزت المادة 24 من المفهوم الجديد في الفقرة الرابعة على ضرورة" اتخاذ تدابير سياسية ودبلوماسية لمواجهة التدخل في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة، التي تهدف في المقام الأول إلى تعقيد الوضع السياسي الداخلي، أو التغيير غير الدستوري للسلطة أو انتهاك السلامة الإقليمية للدول، وفيما يتصل بالوصول الآمن للبحار والمحيطات وضمان تصدير المنتجات الروسية دون أي عوائق اعتمدت روسيا في مفهوم سياستها الخارجية الجديد فصلًا رئيسا في المفهوم، ومما جاء في هذا الفصل الفقرة الأولى من المادة 36، التي تتضمن" ضمان الوصول الحر والآمن والكامل لروسيا إلى المساحات الحيوية والمهمة وغيرها، واتصالات النقل، والموارد في المحيط العالمي".

وأكد المفهوم أيضًا في الفقرة الثالثة من المادة 17 ضرورة تعزيز تطوير استجابات فعالة وشاملة من قبل المجتمع الدولي للتحديات والتهديدات المشتركة، بما في ذلك الصراعات والأزمات الإقليمية، لكن بقدر ما أكدت روسيا التزامها بقواعد القانون الدولي في مقارباتها في حل الصراعات، وهو ما أكده المفهوم الجديد لسياستها الخارجية، إلا أن الفقرة السابعة من المادة السابقة نفسها تنص على أهمية تقديم الدعم لحلفاء روسيا وشركائها في تعزيز المصالح المشتركة، وضمان أمنهم وتنميتهم المستدامة، بغض النظر عمّا إذا كان هؤلاء الحلفاء والشركاء حاصلين على اعتراف دولي، أو عضوية في المنظمات الدولية"[5].

وهكذا يتضح أن روسيا قد ضمنت في مفهوما الجديد بُعدًا جديدًا مثيرًا للتساؤلات حول ما إن كان القصد هو تقديم الدعم للكيانات التي اعترفت بها روسيا منفردة كجمهوريات مستقلة في فضائها السوفيتي السابق كأوسيتيا الجنوبية وأبخازيا، أم أن هذا الدعم يشمل كيانات وجماعات خارج فضائها الإقليمي السابق، ولم تحصل على اعتراف روسي كجماعة الحوثي، خاصة أن الجماعة حاولت مرارًا قبل الحرب الروسية على أوكرانيا الحصول على اعتراف روسي بمجلسها السياسي!، وهل يمكن الربط بما جاء في النص واعتراف الحوثيين بلوغانسك ودونيتسك كجمهوريتين مستقلتين؟.

2. طبيعة دور روسيا بوصفها وسيطًا بين أطراف الأزمة اليمنية

حاول الحوثيون بعد انقلابهم على السلطة في 2015م التواصل مع روسيا من أجل الحصول على الدعم؛ وذلك استنادًا إلى التحالف الذي يجمع موسكو مع طهران في العديد من الملفات، على غرار التخادم الجاري في سوريا على سبيل المثال، لكن روسيا امتنعت منذ عام 2015م عن تقديم أي دعم للحوثيين في صراعهم الداخلي[6]، وفي الوقت نفسه عارضت أي قرار دولي ضد الحوثيين؛ ففي أبريل 2015م هددت باستخدام حق النقض ضد مشروع قرار خليجي في مجلس الأمن بشأن اليمن، الذي اقترح فرض عقوبات على زعماء الحوثيين والرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح، فضلاً عن فرض حظر على الأسلحة، وفي أغسطس 2016م، أحبط الفيتو الروسي إصدار بيان لمجلس الأمن الدولي، كان قد دعا وفد الحوثيين وحليفهم صالح إلى التعاون مع المبعوث الأممي إلى اليمن آنذاك إسماعيل ولد الشيخ، ودعا إلى تدخل مجلس الأمن لفرض مقترح اتفاق سلام في اليمن، وبدلًا من ذلك طالبت روسيا بفرض حظر على توريد الأسلحة إلى جميع الأطراف بما في ذلك الحكومة المعترف بها دوليًا، لكن القرار تم تمريره لاحقًا في مجلس الأمن. وفي مارس 2021م، عارضت روسيا إصدار مجلس الأمن لبيان يدعو إلى وقف هجمات الحوثيين على مأرب الغنية بالغاز.

ورغم المواقف الروسية المبكرة التي منعت تحركات دولية كبيرة ضد الحوثيين، إلا أن الجماعة لم تشعر بالحماس تجاه الدور الروسي، الذي يبدو أنه فُسّر على أنه نابع من خلاف موسكو مع الغرب، وليس موقفًا إستراتيجيًا تبنته موسكو لصالحهم، على غرار الدعم

الروسي للنظام الســـوري، وهذا ما أكده زعيم الحوثيين عبد الملك الحوثي بقوله: "روسيا لها حســـاباتها ومصالحها وسياساتها، ونحن لا نداعبها ولا نعول عليها، وأتمنى أن تستيقظ الدببة الروسية من سباتها الشتوي بسبب النيران الأميركية".

لقد كان من الواضح أن روسيا حريصة على علاقات جيدة مع كافة أطراف الأزمة اليمينة، وبالفعل منذ 2016م نجحت روسيا رويدا رويدا من ترسيخ نفسها بوصفها وسيطًا رئيسًا في الأزمة اليمنية، خاصة بعدما وجهت حركة أنصارالله (الحوثيين) اليمنية رسالة إلى القيادة الروسية برؤيتها لحل الصراع في اليمن المستمر منذ نحو 10 سنوات[7]، وبعد الانقسام الذي جرى بين الحكومة الشـــرعية والمجلس الانتقالي المدعوم مـــن الإمارات. وعلى الرغم من انســـحاب قوات أبوظبي من اليمن، إلا أنها هي التي فتحت الطريق أمام هذا الدور الروسي، حتى إنها في أواخر أغسطس 2019م، بدأت في تسهيل الاجتماعات بين المجلس الانتقالي الجنوبي ومبعوث بوتين الخاص إلى الشرق الأوســـط وأفريقيا، ميخائيل بوغدانوف، وفي اليوم نفسه، التقى الروس بالحوثيين وبنجل على عبدالله صالح، مع الحفاظ على الاتصال بممثلي هادي، واستُضيفت العديد من الوفود اليمنية في موسكو[8].

3. علاقة روسيا بالقوى الإقليمية المنخرطة في اليمن

إقليميًا كانت روسيا حريصة على التمســـك بسياستها المتمثلة في عدم الانحياز إلى الكتل الإقليمية المتنافسة في الشرق الأوسط، وفي الأزمة اليمنية تحديدًا كانت روسيا حريصة ألا تعـــرّض علاقاتها الودية مع المملكة العربية الســـعودية للخطـــر، وكان الهدف الرئيس لروسيا هنا هو إبعاد حليف رئيس للولايات المتحدة في الشرق الأوسط وهو السعودية عن واشـــنطن، لهذا يلاحظ أن الكرملين استخدم سياسة متوازنة ومفتوحة على كافة الأطراف المتعلقة بالملف اليمني، ويُشـــار في هذا الســـياق إلى ما أكده المستشرق الروسي بافيل غوسترين، الذي عمل في اليمن لعدة سنوات ضمن البعثة الدبلوماسية الروسية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين بقوله: لا يمكن لموسكو أن تنحاز إلى أحد جانبي الصراع؛ لأن ذلك من شأنه أن يفسد العلاقات مع إيران، التي تدعم الحوثيين، أو مع المملكة العربية الســـعودية القوة الإقليمية المؤثرة، والحليف المهم لروسيا في أوبك+، ويضيف أن مهدي المشـــاط ممثل جماعة الحوثيين ليس ممثلا للحكومة الشرعية، فالمجتمع الدولي يعترف بالزعيم الشـــرعي لليمن عبد ربه منصور هادي الذي أُنتخب عام 2012م، ويشير غوسترين إلى أن تقديم المساعدة العسكرية للحوثيين يتعارض مع أحد مبادئ الدبلوماسية الروسية.

هكذا أظهر الكرملين مقاربات حذرة في اليمن، وذلك اســـتنادًا إلى علاقته مع الرياض، خصوصًا مع حالة الحياد الدقيق التي أظهرتها الأخيرة فيما يتعلق بالأزمة الأوكرانية، وعدم انضمامها للعقوبات الغربية ضد موســـكو؛ فالســـعودية الرائدة في سوق النفط العالمي، والدولة الرائدة في العالم الإسلامي يتحتم على موســـكو عـــدم إغضابها، حتى لا يتم دفعها للمواجهة مع روسيا في حرب أسعار في ســـوق الطاقة، كتلك التي حدثت في عام 2020م،

والتي ستدفع موسكو على إثرها فيما لو حدثت ثمنًا باهظًا، خاصة في ظل جبهات حربها المستعرة مع الغرب سواء في جبهة الطاقة، أو العقوبات الاقتصادية، وحتى في الجبهة العسكرية والسياسية في الساحة الأوكرانية، فالإبقاء على أسعار نفط مرتفعة مصلحة روسية – سعودية مشتركة، فموسكو ترى أن ذلك سيصب في مسار الحفاظ على استقرار عملتها الوطنية، الذي بدوره سيحافظ على استقرار جبهتها الداخلية التي يراهن البيت الأبيض عليها كثيرًا لإلحاق الهزيمة بنظام بوتين.

تدرك موسكو أيضا أن الرياض تملك الكثير من أوراق الضغط، وتستخدم ورقة الطاقة في ظل حاجة الغرب لها؛ لتنويع شراكاتها الإستراتيجية مع الكثير من اللاعبين الدوليين، فضلًا عن أن المملكة استطاعت تعميق شراكتها الاقتصادية مع الصين، لا شك أن مصلحة الرياض وموسكو تكاد تكون متطابقة في الحفاظ على أسعار نفط مرتفعة، واستمرار سريان اتفاق خفض الإنتاج على مستوى أوبك+، فللسعودية رؤيتها الطموحة 2030م، التي تحتاج مشاريعها لمئات المليارات، ولروسيا أهمية استقرار عملتها الوطنية الروبل، للحفاظ على تماسك جبهتها الداخلية، كما أن للرياض رؤيتها الخاصة بمعالجة شواغلها الأمنية في إطار ترتيباتها الإقليمية بعيدًا عن استخدام الحلول العسكرية.

4. أهمية منطقة البحر الأحمر في إدارة الصراع مع الغرب

تعد منطقة البحر الأحمر ذات أهمية إستراتيجية للغرب؛ كونها أقصر ممر حيوي للتجارة العابرة بين الشرق والغرب، ولهذا نرى كثافة التواجد العسكري الغربي عبر العديد من القواعد العسكرية على شواطئ البحر الأحمر، وقرب مدخله من جهة الجنوب عند مضيق باب المندب، وفي حين تواجه روسيا عقوبات اقتصادية غربية صارمة، ومحاولة لقطع صلتها مع العالم؛ من أجل التأثير على قرارها في حرب أوكرانيا، فإن روسيا تجد في هذه المنطقة أهمية خاصة في ظل تصاعد التوترات العالمية بسبب الحرب الأوكرانية التي تحولت إلى حرب بالوكالة بين روسيا وحلف شمال الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة، وبعدما أصبحت هذه المنطقة هدفًا مهمًا للحوثيين.

فقد حظي الملف اليمني في الآونة الأخيرة باهتمام روسي أكبر من أي وقت مضى، باعتباره قد وفر ساحة لروسيا من أجل الضغط على الغرب، ولهذا يلاحظ تغير علاقة روسيا بالحوثيين بعد الحرب على أوكرانيا، ففي اغسطس 2022م زار وفد حوثي برئاسة المتحدث الرسمي باسم الجماعة محمد عبد السلام موسكو، وتحدث في صفحته على تويتر عن تغير حقيقي في الموقف الروسي تجاه جماعته، وإدراك أن اليمن يستطيع أن يكون مؤثرًا إستراتيجيًا[9].

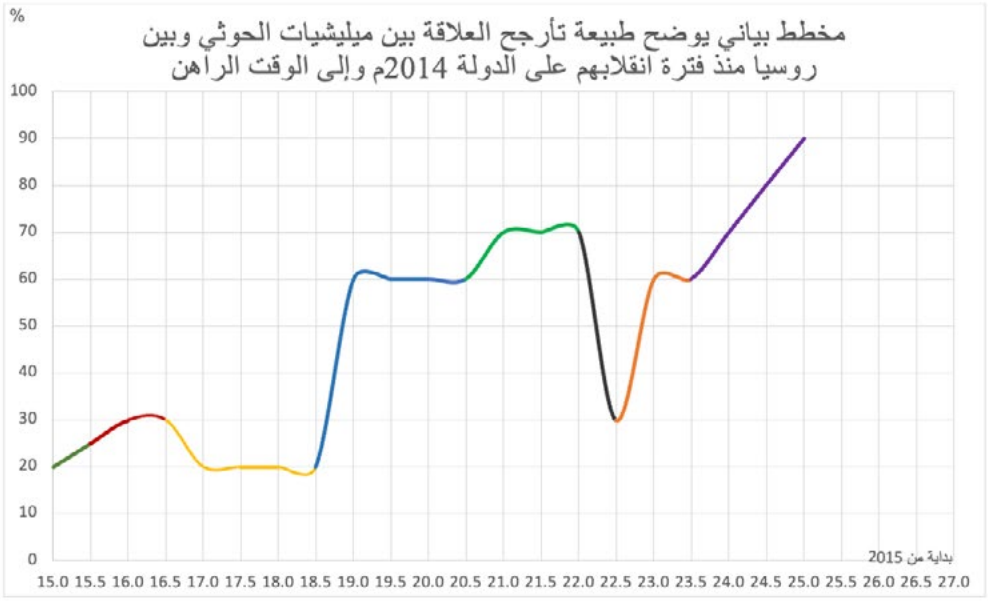

المصدر: إعداد الباحث.

أحداث ومنعطفات في العلاقة بدلالة الألوان في المخطط أعلاه

- امتناع روسيا عن التصويت عن القرار 2216 مع استقبالهم وفد الحوثيين في موسكو والإبقاء على سفارة روسيا في العاصمة صنعاء
- العملية العسكرية الروسية في سوريا مع إدانة روسيا جرائم التحالف العربي في اليمن وتقاربها مع الحوثيين في الموقف
- تصفية الحوثيون لصالح الأمر الذي تسبب بتوتر علاقتهم مع موسكو على إثر ذلك تم نقل سفارة موسكو من صنعاء إلى الرياض وعلى الرغم من توتر العلاقة إلا أن موسكو استخدمت حق النقض الفيتو ضد مشروع قرار يدين إيران ومررت صيغة بديلة لتمديد نظام العقوبات دون ذكر لإيران
- رفع مستوى ضخ النفط في السوق من قبل الرياض الأمر الذي رفع مستوى تقارب موسكو مع الحوثيين
- امتناع روسيا عن إصدار بيان صحفي لمجلس الأمن الدولي يدين الحوثيين أثناء تصعيد هجومهم على مأرب
- تصويت روسيا في مجلس الأمن لصالح القرار 2624 الذي يدين الحوثيين ويصنفهم جماعة إرهابية عقب ضربهم الإمارات بصواريخ باليستية وعُدّ حينه صفقة مقايضة بين موسكو وأبو ظبي مقابل امتناع الإمارات عن التصويت ضد قرار إدانة موسكو لغزوها أوكرانيا
- زيارة محمد عبد السلام إلى موسكو بعد اعتراف الحوثيين بدونيستك ولوغانسك كجمهوريات مستقلة قبل ضم المقاطعات الشرقية الأوكرانية إلى روسيا وحديثه عن تغير حقيقي في الموقف الروسي تجاه جماعته
- تطابق الرؤى بين موسكو والحوثيين تجاه أحداث غزة مع شن الحوثيون ضرباتهم في البحر الأحمر والخليج العربي رغم سماح روسيا بتمرير قرار مجلس الأمن رقم 2722 من خلال امتناعها عن التصويت لكن حزمة المساعدات الأمريكية الأخيرة لنظام كييف وقبل ذلك وعد الحوثي بعدم استهداف السفن الروسية دفع بالإعلام المقرب من الكرملين إلى الدعوة لتحالف عسكري مع الحوثيين لضرب المصالح الغربية.

ثانيا: توظيف روسيا لهجمات الحوثيين

كانت حرب غزة لحظة فارقة في الشرق الأوسط؛ إذ إنها فجرت حالة من الفوضى الإقليمية، والتدخلات الخارجية غير المسبوقة، وكان تدخل الحوثيين على خط الصراع فيما يعرف بجبهة إسناد غزة أحد أهم تداعيات هذا الصراع، ولاسيما أن تدخل الحوثيون قد هدد واحدًا من أهم ممرات التجارة العالمية، وهو ما استوجب تدخلًا من جانب الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين، ولا شك أن روسيا والصين اللتين تتفقان في محاولة تقويض الهيمنة الأمريكية، وإضعاف دورها في الشرق الأوسط، قد وجدتا في هذه التطورات فرصة لإشغال واشنطن، ودفع سياساتهم ونفوذهم في المنطقة، من خلال فرض ضغوط وتحديات متزايدة أمام الولايات المتحدة، ولهذا يمكن تفسير التغير الذي طرأ على موقف روسيا من الحوثيين، ومن الحملة التي تقودها الولايات المتحدة ضد الحوثيين فيما يعرف بتحالف الازدهار، ويمكن ملاحظة تطورات موقف روسيا بعد حرب غزة، وهجمات الحوثيين على السفن المارة بالبحر الأحمر والمحيط الهندي على النحو الآتي:

1. إعادة صياغة العلاقة مع الحوثيين

كثفت روسيا من نشاطها الدبلوماسي مع الحوثيين، كما يلاحظ إدراج الصراع في الشرق الأوسط على أجندة المباحثات بين الجانبين، حيث أعقب التصعيد في البحر الأحمر ضمن ما يطلق عليه الحوثيون بـ"إسناد غزة" زيارة وفد من الحوثيين بقيادة ممثل الحوثيين محمد عبدالسلام موسكو في ال25 من يناير 2024م، التقى خلالها بالمبعوث الخاص للرئيس الروسي للشرق الأوسط ودول أفريقيا، ونائب وزير الخارجية ميخائيل بوغدانوف، وكانت آخر زيارات المتحدث الرسمي للحوثيين في الـ2من يوليو 2024، حيث استقبل نائب وزير الخارجية الروسية ومستشار الرئيس الروسي الخاص للشرق الأوسط ميخائيل بوغدانوف وفدًا حوثيًا برئاسة ممثلهم الرسمي محمد عبد السلام، ونشرت وزارة الخارجية الروسية عبر موقعها الرسمي أن المحادثات التفصيلية تناولت مناقشة مفصلة حول قضايا التسوية الشاملة للأزمة العسكرية والسياسية في اليمن، والمستمرة منذ ما يقرب من تسع سنوات، وأكدت أهمية زيادة الجهود الدولية لتهيئة الظروف اللازمة بسرعة لإطلاق حوار وطني واسع النطاق بين اليمنيين تحت رعاية الأمم المتحدة [1]، وبجانب مناقشة قضية التسوية الشاملة للأزمة العسكرية والسياسية في اليمن مع الحوثيين بحسب ما جاء في بيان الخارجية الروسية، فقد تم إيلاء اهتمام خاص خلال اللقاء بتطور الأحداث المأساوية في منطقة الصراع الفلسطيني -الإسرائيلي، فضلًا عن تفاقم الوضع في البحر الأحمر.

2. الاستفادة من هجمات الحوثيين للتأثير على المصالح الاقتصادية للغرب

بينما أعادت روسيا توجيه تجارتها إلى حد كبير نحو الصين وموانئ الشرق الأقصى عبر النقل بالسكك الحديدية، حيث لم يعد يمر أكثر من 10% من حجم تجارة روسيا الخارجية عبر قناة السويس، فإنها رأت أن التصعيد في البحر الأحمر مفيد لروسيا اقتصاديًا في التأثير

على حركة التجارة نحو الغرب، وأنه يمكن الاستفادة من أزمة البحر الأحمر، والوقوف في صف كل من يقف ضد دول الغرب، وفي هذا الصدد من المهم الإشارة إلى ما قاله وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف في 27 من فبراير 2024م عندما قارن تصرفات الحوثيين في البحر الأحمر بالعقوبات المفروضة على بلاده قائلا: "إن تأثير تصرفات الحوثيين في البحر الأحمر على التجارة العالمية يمكن مقارنته بتأثير العقوبات الغربية غير القانونية ضد الاتحاد الروسي"، وقال خلال مؤتمره الصحفي عقب محادثات أجراها مع رئيس الوزراء اليمني ووزير الخارجية أحمد عوض بن مبارك: "إن الغرب شجع استخدام الأوكرانيين لمهاجمة الممرات الآمنة المفترضة والمخصصة خلال الفترة التي كانت فيها مبادرة الأمين العام للأمم المتحدة، بشأن حبوب البحر الأسود، وما زالت سارية المفعول، وأوضح لافروف أن تأثير ذلك انعكس على التسليم اللوجستي المعقد للغاية للبضائع من نقطة إلى أخرى، وأدى إلى زيادة حادة في أسعار التأمين"[2].

من المهم أيضًا الإشارة إلى ما ذكره موقع قناة تسارجراد المحافظة المملوكة لكونستانتين فاليريفيتش مالوفيف السياسي والملياردير الروسي المقرب من الكرملين، وأحد ممولي الشعار القومي "العالم الروسي" أنه لو لم يكن الحوثيون موجودين، لكان من الضروري اختراعهم، وأن أحداث البحر الأحمر تظهر للعالم بشكل مباشر سبب احتفاظ الأميركيين والبريطانيين بقواعدهم على طرق تجارية ذات أهمية إستراتيجية. صحيح أن روسيا اليوم لا تمتلك مثل هذه القواعد عمليًا، لكن الحوثيين موجودون اليوم، ويمكن الاستفادة منهم، وحتى لو وافقت إسرائيل على ترك غزة وشأنها، وهو أمر يصعب توقعه من رئيس وزرائها بنيامين نتنياهو، الذي يناضل من أجل بقائه السياسي، لكن من غير المرجح أن تتوقف هجمات الحوثيين، الذين عثروا على منجم للذهب، خاصة ضد سفن الدول الغربية التي قصفتهم. وهنا يُعاد طرح تساؤل ميدفيديف للغرب، وهو: لماذا ينبغي لروسيا وحدها أن تخضع "لقيود لا نهاية لها"؟ إذا أردتم حربًا هجينة، فسوف تحصلون عليها![3].

وهكذا أُعيد طرح الحوثيين في تناول الإعلام الروسي كورقة رابحة يمكن أن يستفيد منها الكرملين، ومما جاء في هذه التناول اللافت للنظر أن روسيا لا تملك نسخة حوثية في جوارها الإقليمي، إذ كان من الضروري لموسكو قبل عشرين عاما البدء في إنشاء منظمات وحركات تناضل من أجل الاستقلال عن الهيمنة الأمريكية في بلغاريا أو رومانيا، وكانت بلا شك ستشكل بيئة ممتازة للأعمال التخريبية، حينها كانت موسكو تملك ظروفًا مثالية في دول البلطيق لتشكيل حركات وجماعات موالية لها، التي كان من الممكن لهذه الجماعات أن تكون "كابوسًا" للنازيين المحليين[4].

وكانت صحيفة The Wall Street Journal قد أوردت هذا الشهر تقريرًا مثيرًا للاهتمام تحدثت فيه عن عودة "تاجر الموت الروسي" فيكتور بوت لبيع الأسلحة للحوثيين، وكان بوت قد قضى 12 عاماً في سجون الولايات المتحدة الأمريكية، وكان قد قُبض عليه في

عملية سرية عام 2008م في تايلاند، بقيادة عملاء إدارة مكافحة المخدرات الأمريكية متنكرين في هيئة متمردين يساريين كولومبيين، وكان قد أُطلق سراحه في صفقة تبادل الأسرى في ديسمبر/كانون الأول 2022م، ووصف مسؤولو البيت الأبيض ذلك بأنه قرار صعب، ولكنه كان السبيل الوحيد لإخراج الأمريكية بريتني جرينر من سجون روسيا.

وذكرت الصحيفة أن صفقة الأسلحة الصغيرة التي قيل إن بوت كان يتوسط فيها كانت مع ممثلين حوثيين سافرا إلى موسكو تحت غطاء شراء المبيدات الحشرية والمركبات وزارا مصنع لادا. ولم يعرف الأشخاص المطلعون على الصفقة ما إذا كانت الصفقة يجري التفاوض عليها بناء على طلب الكرملين أم بموافقته الضمنية فقط. وفي حين كان الحوثيون يسعون للحصول على أسلحة روسية الصنع، لم تتمكن صحيفة وول ستريت جورنال من تحديد المصدر المحدد للإمدادات المخطط لها.[5] وعدَّ فيكتور بوت ما تناولته الصحيفة الأمريكية في مقابلة مع قناة REN TV. بمنزلة "هدية" من الغرب للرئيس الروسي بوتين في عيد ميلاده، وبحسب قوله فإن المقال يقول إنه لا توجد حقائق، بل هناك تكهنات معينة، لكنه أكد في مقابلته، أن الحوثيين حلفاء لروسيا ويحتاجون إلى الدعم؛ لأنهم حسب رأيه فعالون للغاية في محاربة طائرات الاستطلاع الأمريكية دون طيار، وكلما أسقطوا طائرات أكثر، قلت فرص الولايات المتحدة لاستخدام هذه الطائرات في البحر الأسود ضد روسيا[6].

3. الحفاظ على علاقة متوازنة مع القوى الإقليمية وإبعادها عن واشنطن

لم يكن مستغربًا أن "تحالف حارس الازدهار" الذي شكلته واشنطن على عجل، لم يضم لاعبين إقليميين مهمين في الملف اليمني؛ فقد تجنبت المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة المشاركة فيه؛ إذ لا ترغب الدولتان في تحمل تكاليف صورتهما في العالم العربي من خلال المشاركة علنًا تحت رعاية الأمريكيين ضد الحوثيين، الذين يقولون إنهم يدعمون غزة، فضلا عن حسابتهما الأمنية[7]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن روسيا كانت قد امتنعت عن التصويت على قرار مجلس الأمن الدولي الذي أدان الحوثيين، هذا الامتناع الذي سمح بتمرير القرار، والواضح أن هذا الموقف جاء ضمن حسابات الكرملين الذي يريد من جهته المحافظة على علاقات متوازنة مع كل الأطراف المهيمنة إقليميًا، فضلا عن الأطراف الداخلية اليمنية، كما أن إدانتها للضربات الأمريكية البريطانية لمواقع الحوثيين بعد تمريرها لقرار مجلس الأمن الدولي، من خلال الامتناع عن التصويت، واعتبار ذلك انتهاكًا للسيادة وخرقًا لقواعد القانون الدولي وتقويضًا لمساعي السلام، التي كانت قد قطعتها المملكة العربية السعودية مع جماعة الحوثي، وربما كان مدفوعًا أيضًا بمخاوفها المتعلقة بصادراتها الضخمة من النفط للهند، والتي تمر بالبحر الأحمر.

4. شن حملة دبلوماسية ضد الولايات المتحدة وبريطانيا

تدعم موسكو في الوقت الحالي وبنشاط الخطاب المناهض للاستعمار، في محاولة لكسب تعاطف الجنوب العالمي من خلال انتقاد الهيمنة الأمريكية، وبالإضافة إلى الانتقاد

الإلزامي لأي تصرفـــات أمريكية، وقد وجدت في الصراع الجاري فـــي البحر الأحمر فرصة من أجل النيل من صورة الولايات المتحدة، ومـــن إظهار تجاوزها للقانون الدولي، ولنزعتها الإمبريالية، وهذا السلوك أكثر ارتباطًا برغبة روســـيا في مراجعة النظام الدولي وإضعاف الهيمنة الأمريكية، وتوظيف التدخل الأمريكي العســـكري ضد واشنطن وحلفائها، ومن ثم عارضت روســـيا الهجمات التي شـــنتها الولايات المتحدة وبريطانيا على اليمن، وتم إدانة الهجمات الصاروخية التي شـــنتها الدولتان، باعتبارها تزعزع استقرار الوضع الإقليمي[8]، ووصف الكرملين هذه الأفعال بأنها غير شـــرعية، ودعا مجلس الدوما الروسي إلى محاكمة بايدن، وقالت الخارجية الروســـية على لســـان المتحدثة باســـم الوزارة ماريا زاخاروفا "إن الغارات الجويـــة الأمريكية على اليمن هي مثـــال آخر على تحريف الأنجلوسكســـونيين لقرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، والتجاهل التام للقانون الدولي باســـم تصعيد الوضع في المنطقة لأغراضهم التدميرية".

كما بادر الاتحاد الروسي إلى الدعوة لعقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن الدولي "فيما يتعلق بالضربات الأمريكية والبريطانية على اليمن"، السكرتير الصحفي للرئيس الروسي ديمتري بيســـكوف علق بالقول "إن قرار مجلس الأمن الدولي الذي دعا الحوثيين بشكل عاجل إلى إيقاف هجماتهم في البحر الأحمر لم يعط الحق لأي كان بشـــن ضربات، وأن الضربات التي قامت بها الولايات المتحدة غير قانونية، وتشكل انتهاكًا للقانون الدولي، ووفقًا لبيســـكوف فإن بلاده دعـــت مرارًا وتكرارًا الحوثيين إلى التخلي عن الاعتداءات على الســـفن التجارية الدولية، إذ نعتبرها غير صحيحة"[9].

فعلى المســـتوى الخطابي تحاول موســـكو تقديم أزمة البحر الأحمـــر كمثال آخر لأزمة الهيمنة الأمريكية، وأن ما يحدث لا يصب إلا في مصلحة روســـيا "ولن يقود إلى أي نتيجة، وأن اســـتمرار القصف دليل آخر على معاناة الهيمنة الأمريكية" بحســـب تعليق فيلسوف الكرملين ومفكره الكسندر دوغين على قناته في التليغرام.

كما أن تدخل روســـيا في الصراع كان فرصة لموسكو لإظهار تناقضات الغرب وازدواجية المعايير التـــي يتبعها، فضلًا عن أن الصراع قد اســـتلزم إعادة بعض الأصول العســـكرية الأمريكية إلى المنطقة، فضلًا عن مد إســـرائيل بمزيد من الأسلحة والمعدات، وهو ما أثر بلا شك على الدعم الموجه إلى أوكرانيا، ونظرًا لأهمية ممر البحر الأحمر في إطار المصالح الأمريكية والغربية؛ فإن اشـــتعال هذه المنطقة يمثل فرصة لخلق صعوبات أمام الخصوم، وورقة ضغط يمكـــن لروســـيا أن توظفها ضد الولايـــات المتحدة والغرب، ولا شـــك بأن المصالحة التي رعتها الصين بين إيران والسعودية منحت لروسيا لعب دور أكبر فاعلية في الملف اليمني، ويبدو أن أحد أهم المصالح الروسية في اليمن هو تخفيف الضغوط الغربية في أوكرانيا، من خلال لعب دور في بؤر التوتر الأخرى في العالم مثل اليمن[10].

ثالثا: الفرص والتحديات أمام روسيا

مثلما تشكل هجمات الحوثيين على البحر الأحمر فرصة لروسيا، فإنه ذلك ينطوي على تحديات أيضًا، ويمكن الإشارة إلى هذه الفرص والتحديات على النحو الآتي:

1. الخسائر والتحديات

ربما لا يقتصر التأثير الاقتصادي للاضطرابات في البحر الأحمر نتيجة لهجمات الحوثيين على الغرب وحسب، بل قد تتضرر روسيا بصورة غير مباشرة، فبالإضافة إلى الواردات التي تصل روسيا من الصين عبر الممرات البرية بعيدًا عن عبور البحر الأحمر، فإن روسيا ما زالت تستقبل منتجات أوروبية بطرق مختلفة، ونظرًا لأن المصنعين الأوروبيين يستخدمون مكونات ومواد خام من الصين تمر عبر البحر الأحمر، فإن الصراع سوف يزيد من التكاليف النهائية للمنتجات على روسيا. وبالنظر إلى أن حرب روسيا على أوكرانيا جعلت من البحر الأحمر طريقًا حيويًا للنفط الروسي، نتيجة للوضع القسري الذي فرضته الحرب الروسية – الأوكرانية خاصة بعد العقوبات الغربية ضد روسيا، وبعد فرض الاتحاد الأوروبي سقفًا لسعر النفط الروسي عند حوالي 60 دولارًا للبرميل، فإن تصدير النفط الروسي سيصبح أكثر صعوبة، ففي السابق كان الأوربيون هم المشتري الرئيس للنفط الروسي، وكان يمر عبر قناة السويس فقط حوالي 0,12 مليون برميل يوميًا إلى المستهلكين الآسيويين، لكن موسكو أعادت توجيه إمدادات النفط من أوروبا إلى آسيا، وبالأحرى نحو الصين والهند، ومع حلول نهاية نوفمبر 2023 م، كانت شركات النقل الروسية تنقل ما يقارب من 1,7 مليون برميل يوميًا عبر السويس[11].

وفي ظل المخاطر المتزايدة في البحر الأحمر قد تلجأ شركات الشحن إلى استخدام طريق بحر الشمال بشكل أكثر نشاطًا، وبالفعل تروج موسكو لطريق آخر، الذي تم تصميمه بوصفه بديلًا لقناة السويس، وهو ممر النقل (شمال – جنوب) من روسيا عبر إيران إلى المحيط الهندي، وممر نقل بحر الشمال، وربما إذا ما تفاقم الصراع وتضررت حركة الملاحة أن تلجأ موسكو إلى إرسال ناقلات النفط عبر طريق رأس الرجاء الصالح، لكن القدرات المتاحة لروسيا ليست كافية لذلك؛ لذا سيكون من الضروري تجديد أسطول ناقلات الشحن بشكل عاجل، وهذا ما قد يفسر امتناع روسيا عن التصويت، وعدم استخدام حق النقض الفيتو ضد قرار مجلس الأمن رقم 2722 في 11 يناير 2024 م، الذي خول لواشنطن وبريطانيا توجيه ضربات جوية للحوثيين، ومن المهم هنا الإشارة إلى أن موسكو أدانت باستمرار تصرفات الحوثيين، داعية إلى "ملاحة حرة وآمنة في المنطقة"، كما أكد الكرملين أنه دعا الحوثيين مرارًا وتكرارًا إلى التخلي عن مثل هذه الممارسات ويعدها خاطئة للغاية.

وقد يفرض استغلال الحوثيين لعلاقاتهم مع روسيا تكلفة إقليمية على موسكو، وذلك بالنظر إلى مخاوف السعودية والإمارات من تأثير الاستقطاب الراهن على الأمن والاستقرار الإقليمي، فضلًا عن الإضرار بمصالحهم، فما يبدو أن تخلي روسي عن دور

الوسيط، والتدخل للتأثير على مجريات الأحداث خدمة لمصالحها وصراعها مع الغرب بدأ صداه يُسمع في الرياض وأبوظبي، إذ إن اللافت للنظر عودة الصراع بين كل من الحركة المتمردة والحكومة المعترف بها دوليًا، ومهاجمة زعيم الحوثيين للمملكة العربية السعودية، على خلفية إجراءات البنك المركزي اليمني في عدن ضد عدد من البنوك والمصارف في مناطق سيطرة الانقلابين، ليعلن بعد ذلك عن إلغاء هذه الإجراءات، على أن يُناقش الملف الاقتصادي لاحقًا بين الحكومة الشرعية والحوثيين؛ ما يعني أن الجماعة ستستمر في مناورتها في البحر الأحمر للمساومة من أجل الحصول على الاعتراف الدولي، بالإضافة الى محاولتها الدائمة بتقديم نفسها حليفًا مجانيًا لروسيا في صراعها مع الغرب، كما يمكن لروسيا توظيفها ضمن أوراق مساومتها في المنطقة، فعلى إثر زيارة لوفد من الحوثيين لموسكو أشارت بعض وكالات الأنباء الروسية إلى أن هذه الزيارة جاءت في سياق أن اليمن قد أصبح ضمن المنطقة الكلية للنفوذ الروسي، وأن روسيا إذا ما سيطرت على البوابات الجنوبية للبحر الأحمر ستكتسب نفوذًا كبيرًا ليس في أورآسيا وحدها، إنما على مستوى العالم، وتم اقتراح إطلاق خط ملاحي مباشر بين أحد الموانئ الروسية (منطقيا ميناء نوفوروسيسك) والحديدة؛ حيث يمكن تصدير الإمدادات من المنتجات الزراعية بصورة مباشرة دون الاعتماد على دولة ثالثة، كما لم يتم استبعاد أن تكون الغارة الإسرائيلية على الحديدة مرتبطة على وجه التحديد بزيارة الحوثيين الأخيرة إلى موسكو، إذ لا يمكن لـ"المنافسين" السماح للنفوذ الروسي بالانتشار في هذه المنطقة [12].

وبينما ظن الكرملين أن الحرب في غزة والتصعيد في البحر الأحمر سيشتت جهود الغرب على الجبهة الأوكرانية، إلا أن حزمة المساعدات الأمريكية المالية التي أعلن عنها الكونجرس، والتي بلغت 61 مليار دولار لكييف قد كشفت عن أن الغرب لم ينشغل بالصراع في أوكرانيا، وأنه ما يزال لديه تصميم على إلحاق هزيمة إستراتيجية بروسيا، تقضى على تطلعاتها الجيوسياسية، وربما تنظر روسيا بحذر إلى الهجوم الناجح من جانب أوكرانيا، واحتلال أراضي روسية في مقاطعة كورسك، فضلًا عن استهداف المصالح الحيوية الروسية بما في ذلك مناطق إنتاج النفط.

2. المكتسبات والفرص

منذ بداية أحداث البحر الأحمر، كان واضحًا أن المخاطر التي يمكن أن يشكلها الحوثيون على الصادرات النفطية بالنسبة لموسكو تبدو ضئيلة، وكانت روسيا الدولة الوحيدة التي لم تقلل من عبور النفط عبر البحر الأحمر، فوسط الهجمات واصل أسطول ناقلات النفط (الظل) العبور من خلال هذا الطريق، كما بدا واضحًا أيضًا أن الحوثيين لم يهاجموا السفن الروسية عمدًا كأهداف، يرجع ذلك إلى أن موسكو استفادت من علاقتها بإيران التي تزود الحوثيين بمعلومات حول مسار ناقلات النفط الروسية لتجنب الحوادث والأخطاء، وفي هذا الصدد يُشار إلى ما أكده محمد البخيتي، عضو المكتب السياسي لجماعة أنصار الله

(الحوثيين) في مقابلة مع صحيفة إزفيستيا الروسية، أكد فيها أن الحوثيين مستعدون لضمان المرور الآمن للسفن من جميع الدول باستثناء إسرائيل، وشدد بشكل خاص على الضمانات الأمنية للسفن الروسية والصينية.[13] لذلك، بعد ساعات قليلة من تعرض سفينة "سوان أتلانتيك"، المملوكة لرجل أعمال إسرائيلي، لهجوم بطائرة دون طيار نتيجة لهجوم الحوثيين في 18 ديسمبر 2023م، عبرت الناقلة "باترفلاي" الروسية المتجهة إلى الهند محملة بنفط "روسنفت" منطقة الخطر، وعبرت في اليوم نفسه خمس ناقلات أخرى محملة بالنفط الروسي البحر الأحمر بعد مرورها عبر قناة السويس.

لقد نجحت روسيا في تأمين حركة تجارتها عبر البحر الأحمر؛ ففي البداية طرحت بدائلها الممكنة لحماية عبور سفنها في البحر الأحمر، من خلال دراسة للباحثين كوبريانوف أليكسي فلاديميروفيتش، ورامنيك إيليا ألكسندروفيتش، وركزت هذه الدراسة المنشورة في عام 2021م على إمكانية التعاون مع الحوثيين، وذلك من خلال مسارين، الأول: إنشاء هياكل خاصة أو عامة من شأنها أن تشارك في الحماية المباشرة للسفن في البحر الأحمر، بمعنى إنشاء وكلاء خاصين أو قوة مباشرة في المنطقة، لضمان حماية السفن الروسية، والسفن ذات المصالح الاقتصادية الروسية، والشركاء المحتملون في مثل هذا السيناريو يمكن أن يكونوا دول شرق أفريقيا وعلى وجه الخصوص إريتريا. والثاني: تطوير نظام تبادل المعلومات المشروط من نوع "صديق-عدو"، وهو يشير إلى إنشاء نظام ثلاثي لتبادل المعلومات (روسيا-إيران-أنصار الله) بشأن مسألة عبور السفن عبر البحر الأحمر، ويمكن لهذا النظام تجنب عرقلة مرور السفن الروسية عبر المنطقة وتقليل التوتر العسكري بشكل عام.

وبينما كان الخيار الأول لضمان أمن السفن الروسية يتطلب نفقات مالية كبيرة، فإن الخيار الثاني يبدو واعدًا وأكثر فاعلية؛ لأنه يتعلق بالمجال المعلوماتي والدبلوماسي، وهو ما لا يتطلب استثمارات مالية كبيرة[14].

وعلى ما يبدو أن الحوثيين وعدوا كلا من روسيا والصين بعدم مهاجمة سفنهم في البحر الأحمر وخليج عدن، وذلك بحسب ما ذهبت إليه وكالة بولمبرج في 21 مارس 2024م، حيث نقلت عن مصادر لم تسمها أن الطرفين تمكنا من التوصل إلى مثل هذا التفاهم، جاء بعد مفاوضات أجريت في مسقط، ويُزعم أن الحوثيين بعد هذه المحادثات يتوقعون دعمًا سياسيًا من موسكو وبكين في الهياكل الدولية، وخاصة في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة[15]، وبالنسبة لروسيا يلعب هذا الطريق دورًا إستراتيجيًا؛ لأن أكثر من نصف صادرات النفط الروسية المنقولة بحرًا، أو حوالي مليوني برميل يوميًا تتدفق عبره.

رغم الاعتراضات الروسية على نهج وواشنطن وإدانة سلوكها في الأزمة برمتها، لكنها فعليا لم تتدخل بأي شكل من الأشكال ضد التصرفات الأمريكية في البحر الأحمر، بل نجحت واشنطن في 11 يناير في الحصول على قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم

2722 لإضفاء الشـــرعية على الهجمات على البنية التحتية للحوثيين في اليمن، وروســـيا، خلافًا لعادتها لم تســـتخدم حـــق النقض ضد هذا القرار، ويبدو أن روســـيا كانت راغبة في توريط واشنطن والغرب في الصراع، لهذا بعدما شنت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة أولى ضرباتهما ضد الحوثيين في 12 يناير 2024م عقب القرار مباشـــرة، عندها فقط بدأت روسيا تصر على أن القرار المعتمد لا يعطي الحق في ضرب اليمن[16]، ومن الصعوبة بمكان أن نتصور أن الجانب الروســـي عند التصويت على هذه القضية فـــي مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لم يكن يدرك أن الأمريكيين يمكنهم تفسير البند الخاص بـ "ضرورة القضاء على الأســـباب الجذرية التي تؤدي إلى زيادة التوتر الإقليمي وزعزعة الاســـتقرار" في شن حملة ضد الحوثيين، ولاسيما أنه كان من الواضح خلال التصويت أن الأمور تتجه نحو شن الولايات المتحدة وبريطانيا ضرباتهما[17].

خاتمة

اتبعت روســـيا مقاربات حذرة تجاه العديد من ملفات الصراع في الشـــرق الأوسط، خاصة الملف اليمني؛ نظراً لتشـــابكاته الإقليمية وطبيعة علاقة روسيا مع كل الأطراف الإقليمية الفاعلة في المشـــهد اليمني، فرغـــم رهان جماعة الحوثي على طبيعـــة العلاقة التي تربط طهران بموســـكو في الحصول على اعتراف دولي من الكرملين خصوصا بعد اعتراف طهران بحكومة صنعـــاء الانقلابية، وهو الاعتـــراف الوحيد الذي حصلت عليـــه الجماعة، ورغم اعتراف موســـكو بحكومة هادي باعتبارها الحكومة الشرعية المعترف بها دوليًا، ومع ما تبع ذلك من أحداث في المشـــهد اليمني انتهت بمقتل صالح في ديسمبر 2017م، الذي كانت تربطه علاقة جيدة بموسكو، وما أثار ذلك من حنق روسي تم على إثره نقل السفارة الروسية من صنعاء إلى الرياض، إلا أن جماعة الحوثي لم تيأس من محاولة إظهار نفســـها كجماعة قريبة من توجهات موســـكو وبكين، ويقرأ ذلك من خلال رســـالة القيـــادي الحوثي مهدي المشـــاط إلى موســـكو وطلبه التدخل لحل الأزمة اليمنية، وإيقاف العدوان وفك الحصار على اليمن، فضلاً عن اعتراف الحوثيين باســـتقلال جمهوريتي لوغانسك ودونيتسك فور إعلان موسكو عن عمليتها الخاصة بحســـب الوصف الروسي، كما تدرك موسكو أيضًا أن مقاربتها الحذرة القائمة على اتباع نهج مســـار التوازن بيـــن الأطراف الإقليمية الفاعلة في اليمن سيسهم في تحسين علاقاتها مع الدولتين المهيمنتين في الخليج العربي (السعودية والإمـــارات)، بالنظر لحاجتها إلى ملاذات آمنة لرؤوس أموالها، بســـبب العقوبات الغربية المفروضة عليها بسبب حربها في أوكرانيا خصوصا مع دولة الإمارات، وبما يسهم أيضًا في الحفاظ على علاقاتها مع إيران، وفيما يتعلق بالحرب الإســـرائيلية على غزة، وربط الحوثي عملياته في البحر الأحمر بها، والموقف الروســـي المنحاز لتوجهات المجموعة العربية في الأمم المتحدة، والذي ظهر معظم الأحيان كما لو أنه داعم للمقاومة الفلسطينية. برأيي أن هذا الموقف ما كان ليصبح على ما هو عليه الآن لو لم تكن موســـكو في حالة حرب مفتوحة

مع العواصم الغربية على الساحة الأوكرانية، بالنظر إلى العلاقة الودية التي كانت تجمع الكرملين بحكومات نتنياهو المتطرفة قبل الحرب الأوكرانية، لذلك فروسيا تدرك حاجتها لفتح جبهات جديدة لإضعاف الهيمنة الغربية، وأهمية إشغال الغرب وتشتيت جهوده في جبهات الشرق الأوسط؛ حتى لا ينشغل بها في أوكرانيا.

وبقدر ما منحت أزمة البحر الأحمر لموسكو فرصة طرح مزايا لطرقها اللوجستية البديلة، فضلاً عن زيادة نشاط طرق السكك الحديدية، التي تربط البر الصيني بالروسي وصولاً إلى أوروبا، وبقدر ما أظهرت معاناة الهيمنة الأمريكية حسب وصف مفكري الكرملين، إلا أنها في الوقت نفسه أظهرت ارتباكًا في موقف موسكو تجاه هذه الأزمة، حيث أدانت هجمات الحوثيين، لكنها في الوقت نفسه سمحت بتمرير قرار مجلس الأمن الدولي من خلال امتناعها عن التصويت، ثم نددت بالعدوان الأمريكي البريطاني على اليمن، هذا الارتباك قد يكون مدفوعًا بحالة التوازن الذي ترى موسكو أنها تنتهجها في المنطقة، رغم اختلالها الواضح لصالح طهران، فضلاً عن خشيتها على صادرات نفطها الهائلة التي تمر إلى الهند عبر هذا الطريق، كما أن ربط إدانتها للضربات الأمريكية – البريطانية لمواقع الحوثيين بمحاولة واشنطن تقويض مسار جهود السلام في اليمن، وإفشالاً لمسار مسقط بين الحوثيين والمملكة العربية السعودية يأتي في سياق إظهار موسكو لرغبتها بعدم إغضاب الرياض المهتمة بإنهاء شواغلها الأمنية، وحتى لا ينعكس ذلك سلبا على اتفاقات أوبك+ المتعلقة بخفض الإنتاج، بالإضافة إلى أنها تنظر للتوجهات المستقلة التي أظهرتها الرياض في سياستها الخارجية من خلال حالة "الحياد الدقيق" التي انتهجتها الأخيرة فيما يتعلق بالأزمة الأوكرانية يأتي في سياق دعم دول الجنوب العالمي للتوجه الرئيس لموسكو الداعي إلى بناء نظام عالمي متعدد الأقطاب.

لكن ما بدا لافتًا للنظر خلال الأشهر الأخيرة من عمر هذه الأزمة أن الإعلام الروسي المقرب من الكرملين يدعو بشكل متواصل إلى ضرورة تزويد الحوثيين بالخبرات والتقنيات اللازمة والأسلحة، واعتبار الحركة حليفًا مهمًا لموسكو، ويبدو الأمر كما لو أن له علاقة بتطورات متسارعة تشهدها الجبهة الأوكرانية، وزيادة في حجم الدعم الغربي لنظام كييف، وهو ما ينذر بانتقال الصراع مع الناتو الى مرحلة أكثر خطورة.

المصادر والمراجع

(1) О встрече спецпредставителя Президента Российской Федерации по Ближнему Востоку и странам Африки, заместителя Министра иностранных дел России М.Л.Богданова с делегацией йеменского движения «Ансар Алла» [Электронный ресурс] //МИД РОССИИ Официальный сайт (02.07.2024), дата обращения :11.08.2024, https://n9.cl/2vm841

(2) Лавров назвал сопоставимым влияние на экономику хуситов и санкций против России, [Электронный ресурс] // interfax, (27.02.2024), дата обращения:17.04.2024, https://n9.cl/1xns7

(3) ХУСИТЫ ВЗЯЛИ ЗАПАД ЗА ПОДВОДНЫЕ КАБЕЛИ: РУКА КРЕМЛЯ ПОКАЗАЛА ФИГУ ИЗ КРАСНОГО МОРЯ, [Электронный ресурс] // Царьград, (28. 02.2024), дата обращения :07.05.2024, https://goo.su/HckvhX

(4) Нам не хватает своих «хуситов» , [Электронный ресурс], zavtra.ru , (23. 05. 2024), дата обращения :03.05.2024, https://goo.su/ohJajG

(5) Putin's 'Merchant of Death' Is Back in the Arms Business. This Time Selling to the Houthis. The Wall Street Journal. https://goo.su/cHZTc0F 7.10.2024, [2024 13 October on viewed Last]

(6) Бут: статья про продажу оружия хуситам – «подарок» Запада нашему лидеру, [Электронный ресурс] // ren.tv, 07 октября 2024, https://goo.su/ztfMyg (дата обращения :14.10.2024)

(7) Владимир Сажин: «Союзники хуситов ХАМАС и Иран реально помочь в военном плане не могут» [Электронный ресурс] // business-gazeta, (24 января 2024), дата обращения :11.05.2024, https://goo.su/hitgLK

(8) В МИД России прошли переговоры с делегацией хуситов, [Электронный ресурс], радио sputnik, (25. 01.2024), дата обращения: 22.03.2024, https://n9.cl/ktqh7

(9) Кремль осудил американские и британские удары по Йемену, [Электронный ресурс], РИА НОВОСТИ, (12.01.2024), дата обращения:14.05.2024, https://goo.su/m808SR

(10) Abdullah Al-Shadli, Will Russia Play a Bigger Role in Yemen?, south 24, (18-03-2023), accessed: September 2, 2024, https://n9.cl/ys7br

(11) Как атаки хуситов в Красном море влияют на мировую торговлю, [Электронный ресурс] // journal.tinkoff, (26.01.2024), дата обращения :28.04.2024, https://n9.cl/wph6l

(12) Хуситы в Москве. Йемен присоединяется к российскому макрорегиону?» [Электронный ресурс], информационное агентствоiarex.ru21) , июля 2024), дата обращения :11.08.2024, https://clck.ru/3CfZYH

(13) Хуситы пообещали свободный проход судам России по Красному морю,]Электронный ресурс], «Известия». НОВОСТИ (19.01.24), дата обращения :09.05.2024, https://n9.cl/91rqt

(14) уприянов А. В., Крамник И. А. Перспективы и проблемы использования морских частных военных компаний "нового облика" в Восточной Африке, Анализ и прогноз. Журнал ИМЭМО РАН. (EDN: FCOJBX. – № 1. – С. 84-98. – DOI: 10.20542/afij-2021-1-84-98. –2021), https://n9.cl/fehl4

(15) Эксперт объяснил, зачем хуситы могут сближаться с Россией и Китаем, [Электронный ресурс] // ИА Регнум, (22 марта, 2024), дата обращения :29.05.2024, https://n9.cl/xyjt2

(16) Востоковед Никита Смагин о ситуации вокруг судоходства в Красном море [Электронный ресурс] rutube.ru, дата обращения :28.04.2024,

(17) Востоковед Никита Смагин о ситуации вокруг судоходства в Красном море, там. же